التوجّه مساندة فكرية من كثير من المراقبين الذي يتحسّبون من العنف الارهابي الاسرائيلي، والذي له سوابق تاريخيـة لا تحصى في اثناء مسيرة الصراع على أرض فلسطين، ومن حولها[٤٤]. هذا مع ملاحـظة ان هناك توافقاً على ان يظل أفق العمل المسلح مفتوحاً في سياق النضال الفلسطيني في الارض المحتلة، كونه أكثر الاشكال تكلفة بالنسبة الى الاحتلال، من الناحيتين، البشرية والمادية، وكذا على اعتبار ان الانماط المدنية هامّة، ولكنها ليست حاسمة في هزيمة اسرائيل، أو دحر الاحتلال[٤٥].

ان هذه النقاشات تدخل، جميعها، في مجرى البحث في النهج الامثل للمقاومة. وهنا يجب التذكير بما سبقت الاشارة اليه، من ان انماط الكفاح المدني ليست جديدة على مسار النضال الفلسطيني، وان هذه الانماط قد تكون مجدية، اذا تمّت بالشكل المناسب، وفي التوقيت والمكان الملائمين، دون أن يعني ذلك التقليـل من شأن الكفـاح المسلّح، بل وربما تقتضي الحكمة ان يتمّ الجمع بين أشكال النضـال كافـة، المـدني منهـا والمسلح، في سياق تخطيط محكم، ومعرفة مسبقة بشروط كل حركة وأهدافها، وما قد يترتب عليها من ردود أفعال داخل الأرض المحتلة، وعلى صعيد العدو، وكذا على صعيد الاطراف الخارجية. ومن الممكن ان تترافق انماط النضال المدني في الارض المحتلة بأنماط من العمل المسلّح من الخارج نحو الداخل، وذلك أمر يمكن للمعنيين تحديد زمانه ومكانه وانعكاساته على جميع الصعد، بشكل دقيق وتدبّر بالغ.

٦ ـ المقاومة المدنية غير ملائمة لنموذج الاحتلال الاسرائيلي

أساس هذه الحجة ان المقاومة المدنية تهدف الى سحب الاساس الاجتماعي لقوة الحكام، أو لقوة سلطة الاحتلال. ويتمّ ذلك برفض المحكومين، أو المحتلين، الاذعان للسلطة المسيطرة بالقوة. وهذه الحالة لا تنطبق على الاحتلال الاسرائيلي للاراضي الفلسطينية، لأن السلطة الاسرائيلية لا تعتمد على اذعان المواطنين الفلسطينيين، وانما يقوم الاحتلال الاسرائيلي على القوة والارهاب. ومعنى ذلك، ان انماط المقاومة المدنية بعدم التعاون، والاضراب، والتظاهر، والاحتجاج، والعصيان، الخ، لن تكون فعّالة في اجبار الاسرائيليين على الانسحاب. ومن الواضح، ان هذه الحجة تقوم على اساس صحيح، وهـو ان الاحتلال الاسرائيلي يستند الى القوة والارهاب، وليس الى اذعان الفلسطينيين. لكن القوة الاسرائيلية تهدف، أساساً، الى تحقيق هذا الاذعان. فالاحتلال لا يمكنه ان يمارس القوة طيلة الوقت، وباستمرار. لقد احتلت اسرائيل الارض الفلسطينية بالقوة المكثّفة؛ ثمّ انتقلت، بعد ذلك، الى الابقاء على هذا الاحتلال، من خلال الترويج المستمر لاستخدام القوة وخوف السكان واذعانهم. ولذا، قيل ان بضع عشرات أو مئات من الجنود الاسرائيليين وقوات الشرطة وحرس الحدود والاستخبارات، هم الذين كانوا يتواجدون، بالفعل، داخل الارض المحتلة قبل الانتفاضة. وهكذا، فان الاحتلال لم يكن عملية مكلفة مادّياً، أو معنوياً، بالنسبة الى اسرائيل؛ اذ ما الحاجة الى آلاف الجنود وعمليات التعبئة والدوريات المسلحة، الراجلة والمحمولة، ليلاً ونهاراً، اذا كان السكان يمارسون حياتهم بشكل معتاد في ظل وجود الاحتلال وأوامره ومراراته؟ لقد أدّت الانتفاضة الى نسف هذه الاوضاع تماماً. ما عادت الارض المحتلة أرضاً مستكينة هادئة، يتابع أمورها عشرات من الجنود وبعض العيون المدسوسة التي لا يخلو منها شعب من الشعوب. ويمارس المستوطنون العنصريون حياتهم على ترابها باطمئنان، بل تعيّن على اسرائيل ان تستنفر جهوداً كبيرة لممارسة الاحتلال وبشكل مرهق تماماً. ولاسرائيل، في هذا الجانب، مشكلة خاصة، هي عدم القدرة على العيش في اجواء التعبئة والارهاق المترتب عليها لفترة طويلة. واذا كانت التعبئة وارهاقها مبررات معقولة في ظروف حرب حقيقية معتادة ضد الجيوش العـربيـة مثـلاً، فان المبررات تختفي، نسبياً، في اجواء المقاومة المدنية، وتشكّل عبئاً نفسياً ثقيلاً